شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

SALWA AKL

شبكة المعلومات الجامعية

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

SALWA AKL

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها

علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

SALWA AKL

شبكة المعلومات الجامعية

بعض الوثائق الأصلية تالفة

SALWA AKL

شبكة المعلومات الجامعية

بالرسالة صفحات

لم ترد بالأصل

SALWA AKL

جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

B17049

ابن الأبّار البَلَنْسِي

حياته وأدبه

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

بإشراف

الأستاذ الدكتور عمر موسى باشا

إعداد الطالب:

عدنان محمد غزال

العام الجامعي ١٩٩٧-١٩٩٨م

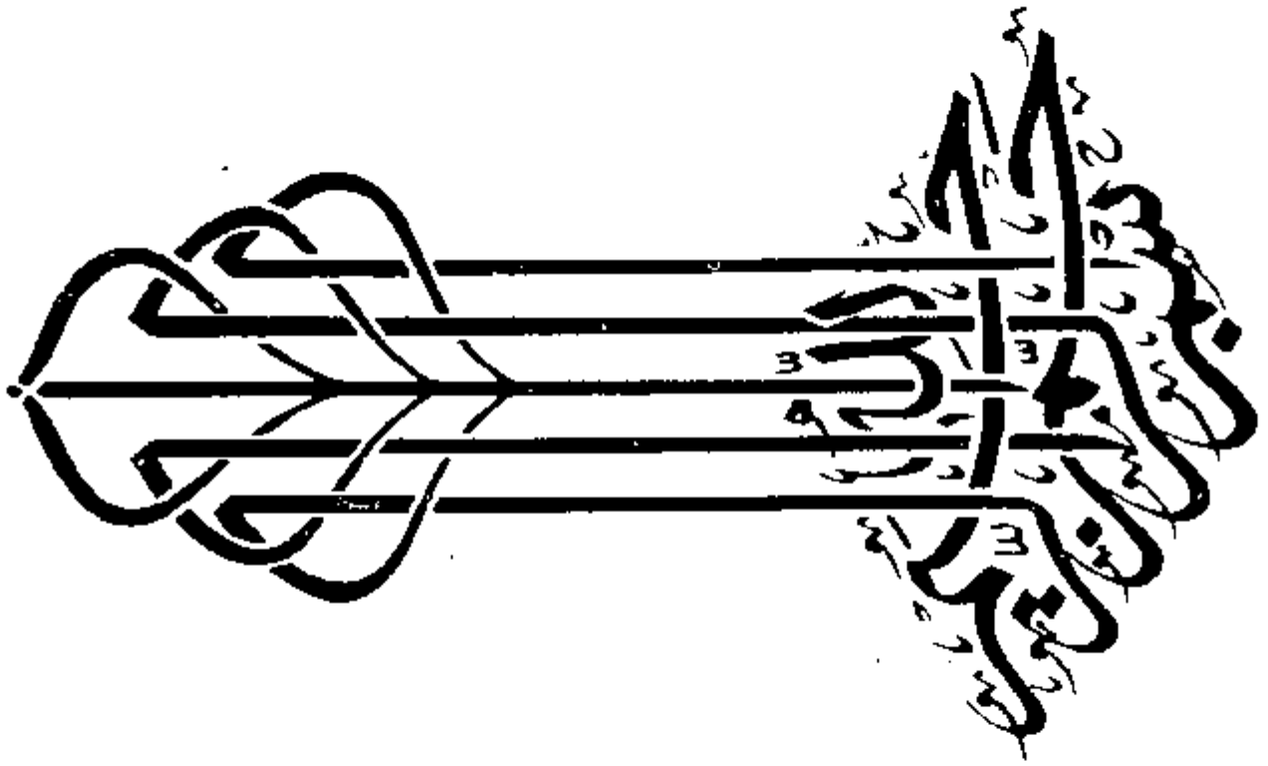

إحياء التراث ضرورة من مستلزمات الأمة وبقائها، لأنه يحمل في طيّاته الملامح الشخصية لها، ويصوّر مستواها الحضاري والفكري ويشير إلى أثرها في تشييد صرح الحضارة الإنسانية، وإعلاء بنيانها. ويحفظ في نفس الوقت - لغتها التي تُعَدّ بمنزلة هويّة ناطقة عنها.

ولهذا المنطلق آثرت أن أدرس كاتباً كبيراً من أدباء العربية الأفذاذ الذين بلغوا شهرة عظيمة في عصرهم، وكان له شرف المشاركة في رفد التراث الأندلسي في القرن الهجري السابع بكلّ ماهو ممتع ومفيد من مؤلّفاته التي سلمت من الضياع والاحتراق.

وربما يفهم القارئ من قولي «الاحتراق» أنّني أقصد الكلمة المألوفة التي يتحدث عنها المشتغلون بالتراث العربي حين يشيرون إلى ضياع المخطوطات والكتب بسبب احتراق المكتبات التي تحفظها. وليت الأمر كان كذلك، ولكنه الحقد الذي يغلي في مراجل الصدور حين ينبغ فينا نابغة أو ينطلق مِقْوَل أو يبشير بنان. إنه حقد المستنصر الحفصي الذي كان أميراً على تونس. وماكان ليطفئ نار حقده إلا نار أشد ضراوة منها، أوقدها تحت محرقة وضع فيها الأديب البلنسي أبا عبد الله ابن الأبار مع كتب مكتبته بعد قتله قعصاً بالرماح. فكان شهيد العلم والوطن والحقّ. هذا الأديب هو - وفق ترجمته لوالده بنفسه - محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي.

وكان من أسباب اختياري دراسة هذا الرجل، ماوجدته من صفات تحلّى بها، فكان لايعرف إلا الحقّ مذهباً وسلوكاً، وقولاً وفعلاً وماوصل إليه من منزلة مهمة في عصره أتاحت له أن يكون سفير بلاده «شرقي الأندلس»، مستجدياً إذا ماادلهمت الخطوب، منشئاً أفضل قصائده التي أصبحت مؤثّلة فن الاستنجاد فيما بعد، وما عرف عنه من إيثاره التراث على ماسواه، وماخلّفه من آثار نرجسوعية يعجز عنها أولو القوة والعزيمة من الرجال.

من ولاة الموحدين على مدينته بلنسية وكتب عنهما. أما الأول منهما فهو السيد أبو عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن. وأما الثاني فهو ولده أبو زيد بن أبي عبد الله.

وذكر أنه كتب بعد هذين الرجلين لثائر من الثائرين على الدولة الموحدية يدعى أبا جميل زيّان بن مردانيش الذي سلّم حكم بلنسية سنة ٦٤٦هـ وظلّ يكتب لهذا الرجل حتى سقوط بلنسية بيد الفرنجة سنة ٦٣٦هـ وبعد ذلك رحل إلى تونس حيث يقيم أميرها أبو زكرياء الحفصي فصار كاتباً في ديوانه الأميري ثم كتب لولده من بعده. وقد تحدّث عن هؤلاء جميعاً وذكرت أولّيتهم وجزءاً من سيرتهم.

وأما الفصل الثاني فإن عنوانه: «حياة ابن الأبار» وكان خاصاً بالحديث عن ابن الأبّار من حيث اسمه ونسبه والمشابهون له في اللقب، وأسرته، ومولده، وطفولته، ثم انتقلت إلى الحديث عن مراحل حياته العلمية وذكرت أربع مراحل، منها مرحلة النشوء في بلنسية، ومرحلة الإقامة بإشبيلية وبطليوس، ومرحلة الكتابة في بلنسية، ومرحلة الهجرة النهائية إلى تونس، واختتمت الفصل بالحديث عن وفاته.

وجدير بالذكر أن أشير إلى طريقة مقتله البشعة، ومضمونها أنّ الحسّاد أوغروا صدر المستنصر الحفصي ولد أبي زكرياء. وقالوا له إنّ ابن الأبّار غاضب على الدولة وذامّ تقصيركم وله شعر في هجائكم. وصدّق لهذا الفتى الغرّ ما حاكه أولئك المنافقون فاستدعى ابن الأبار وطلب تفتيش بيته، فلمّا وجدوا في منزله بيت شعر يذمّ فيه المستنصر وأوصلوه إليه فغضب غضباً شديداً وأمر بقتله قعصاً بالرماح ثم وضع مع كتبه في محرقة واحدة وأمر بحرقه بعد حياة حافلة بالعمل الشاق والجهد المتواصل والتأليف الحسن.

وأما الفصل الثالث فإنه خاص بتكوينه الثقافي حيث تحدثت عن شيوخه فذكرت منهم أبا الربيع بن سالم الكلاعي وأبا الخطّاب بن واجب وتركت غيرهم بلا ترجمة لأنّ هذين الرجلين يصوّران ما كان عليه التعليم آنذاك.

وتحدثت عن روايته وإجازاته التي منحه إياها شيوخ لهم علم وفضل في عصره، ثم صنعت جدولاً بيّنت فيه المؤلف المرويّ واسم مؤلفه وطريقة روايته والمصدر الذي استقيت منه ذلك الخبر. أضف إلى ذلك بيان بعض الكتب التي قرأها ابن الأبار.

وذكرت بعد ذلك صلته بأدباء عصره وأشرت إلى المشهورين منهم، وختمت الفصل بالحديث عن تلاميذه فترجمت ترجمة مختصرة لكلّ واحد منهم.

وأما الباب الثاني فعنوانه « أدب ابن الأبّار ». وتوزّعته فصول أربعة، كان أوّلها حديثاً عن « ديوان ابن الأبار وتوثيق شعره ». وتناول هذا الفصل الكلام على ديوان ابن الأبار عند القدماء وموقفهم منه ثم مناقشة بعض الجوانب في الديوان المطبوع على ضوء ما توصلت إليه بعد قراءة هذا المطبوع ومقارنته بالأصل المخطوط الذي حاولت الاستناد إليه حيث تشمّمت روائح التصحيف والتحريف، وأغلاط الطباعة التي تشوّه المحاسن. وانتقلت بعد ذلك إلى توثيق شعر ابن الأبار وتوقفت عند أربع نقاط، الأولى منها ما أنشد لابن الأبار وليس له، والثانية ما كان لابن الأبار ونسب إلى غيره، والثالثة ما نسبه محقق الديوان إليه وهو لغيره والرابعة ما أغفل محقق الديوان ذكره من شعره.

وكان ثاني الفصول في هذا الباب « أغراضه الشعرية » حيث قدمت له بتمهيد مناسب، وانتقلت بعد ذلك إلى الكلام على أغراضه الشعرية غرضاً غرضاً حيث ذكرت المدح وما يتعلق به، والاعتذار، والرثاء، والاستعطاف الذي أولته عناية مهمة لأنه يعبر عن حب الوطن والوفاء له، فذكرت قصيدته السينية والهمزية، اللتين قالهما عن هذا الفن، للردّ خطر الفرنجة الذين يحاصرون بلنسية التي كانت تحتضر تحت سنابك خيولهم، والذين بدأوا يرون كلّ يوم لنا بلبوس جديد، ونظرتهم لكي هي، لا تتغير، ولا تتبدل، ولذلك كان لابن الأبار فضل إيقاظ الهمم، وتأصيل هذا الفن وتمهيد طريقه أمام من جاؤوا بعده.

وانتقلت إلى الحديث عن زهده وتنويعاته وبيّنت أنّ هذا الزهد صادر عن تجربة عاشها الشاعر بعد معرفته الناس وطبائعهم والملوك ومآربهم ثم تكلمت على عدة من أغراض عنده كالإخوانيات والوجدانيات والغزل والوصف الذي قسمته إلى أوصاف متعددة يربطها رابط يؤلف بينها حيث ذكرت وصف الدولاب والأنهار والقُلُوبيّات والسوسن والنرجس والرياض والسفينة والأسطول والأسود وملاعبتها. واختتمت الفصل بالحديث عن معارضات ابن الأبار الشعرية والنثرية وضربت على ذلك شاهدين اثنين، أحدهما على الشعر وهو معارضة ابن الأبار قصيدة «يا ليل الصب» للحصري القيرواني، والآخر معارضة ابن الأبار رسالة «ملقى السبيل» لأبي العلاء المعري، وهي شاهد على المعارضات النثرية والشعرية معاً. وأتممته ذكراً بعض الأغراض التي قلّت عنده كالهجاء الذي نزّه نفسه عنه والمعمّى الذي ضاع معظمه.

أما الفصل الثالث فإنه مقصور على خصائص شعره الفنية. وقدمت له بتمهيد مناسب للدخول في القسم الأول الذي يضم مصادر معانيه التي ما كانت لتباين مصادر غيره من الشعراء الذين سبقوه إذ إنه وأمثاله عشقوا التراث وغنّوا له طويلاً ولذلك كان القرآن الكريم أول المصادر التي طبعت معانيه بطابع إسلامي متميّز وجاء تلوه الحديث الشريف وما أُثر عن صحابة رسول الله فالأمثال، فسِيَر الأدباء السابقين فالرموز والإشارات التاريخية فعلوم العربية من نحو ولغة وعروض ثم الفلك.

وأما القسم الثاني من هذا الفصل فقد كان خاصاً بالخصائص المعنوية التي وسمت معانيه وبتأثره بمن عاصره وبمنهجه في نسبة الأشعار إلى أصحابها وبتأثيره في الشعراء.

واختتمت الفصل متحدثاً عن القسم الثالث الذي يضم الخصائص

اللفظية فتحدثت عن ألفاظ ابن الأبار وتراكيبه وعن قوافيه وأوزانه بعد حديثي عن منهج ابن الأبار في بناء قصائده حيث بينت خطته في معظم الأغراض التي قال فيها تلك القصائد. واستندت إلى المنهج الإحصائي في معالجة القوافي والأوزان وصنعت عدداً من الجداول الإحصائية التي أتاحت لي القدرة على المقارنة بما وصل إليه الباحثون من نتائج في حقل القوافي والبحور الشعرية.

وجاء حديث الجناس في هذا القسم للدلالة على التصنع البديعي عند ابن الأبار حيث بينت كلف ابن الأبار به وبأنواعه كافّة، وأشرت إلى تميّزه بهذا الفن الذي فاق كلّ ما سواه من فنون بديعية أخرى عنده واختتمت الحديث ببعض الفنون التي مالغها ابن الأبار كالتشطير والتصريع والتصدير والترديد وبعض المحسنات الأخرى.

وكان الفصل الرابع خاتمة الباب وفيه حديث عن «نثره الأدبي» الذي أثر عنه. وناقشت فيه أصناف نثره حيث بينت أنها ثلاثة أصناف، الأول منها رسائله الإنشائية، والثاني مؤلفاته غير الإبداعية ككتبه التي ليست مقصورة على إنشائه الخاص، بل تتميز بالجمع من الكتب والمصنفات الأخرى التي سبقته. وهذه المؤلفات لم أعرضها على البحث إلا بقدر ما أحتاج إليه منها وذلك لأنّ المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد قد سبقني إلى الحديث عنها. وفي حديثه غنية عن إعادة القول فيها. وأما الصنف الثالث فهو مؤلفاته الإبداعية وهي المؤلفات التي كانت من بنات أفكاره إبداعاً وصياغة ككتابه «درر السمط في خبر السبط» الذي توقفت عنده شارحاً مضمونه وموضّحاً بعض الآراء التي تتعلق بعقيدة ابن الأبار من خلال هذا الكتاب الذي صدر عنه. واختتمت الفصل بالحديث عن أغراض نثره وبيّنت أنها أغراض تقليدية غايتها ما يتعلق بنظم الإدارة من خلال رسائله وما يتعلق بمواضيع شخصية كالتهنئة والرثاء والتعزية والتوصية

وماله علاقة بإظهار القدرة الفنية على الكتابة من أمثال كتابه درر السمط ورسالته في معارضة ملحة السبيل . واختتمت الفصل بالحديث عن خصائص نثره من حيث المنهج والأسلوب .

وأتممت الدراسة بخاتمة بيّنت فيها أبرز ما انتهيت إليه في دراسة الشاعر وفنه. وبفهرس المصادر والمراجع وبملحق يضم شجرة النسب الحفصية وبعض الصورات التي توضح تنقّلات ابن الأبار في مراحل حياته .

وكانت مصادر البحث متنوعة تبعاً لألوان فصوله . ففي بحث الحياة السياسية في عصر ابن الأبار عدت إلى نوعين من المصادر والمراجع التي تتعلق بالدولتين الموحدية والحفصية، لأن الشاعر عاش طرفاً من حياته تحت ظلال كلّ واحدة منهما . أما النوع الأول فهو خاصّ بالدولة الموحدية . ومن المصادر التي تحدثت عنها المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ، والبيان المغرب في أخبار المغرب « قسم الموحدين » لابن عذاري المراكشي ، وأعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب ، الجزء الثالث ، وتاريخ ابن خلدون الذي ذكر الدولتين معاً ومثل ذلك تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي . أضف إلى ذلك الكثير من المراجع التي درست هذه الدولة كتاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ليوسف أشباخ والدعوة الموحدية بالمغرب لعبد الله علي علام والموحدون في المغرب الإسلامي للدكتور عز الدين لعروسي . وكثير من كتب تراجم الرجال التي عرضت في تضاعيفها بعض الأخبار المتعلقة بهذه الدولة .

وأما المصادر التي عدت إليها وكان لها علاقة بالدولة الحفصية فهي متعددة ومنها الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ القسنطيني ، والأدلّة المبيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لابن الشماع ، والمؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار . زد على ذلك من المراجع المهمة ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي لروبار بريشنيك ، والسلطنة الحفصية لمحمد العروسي المطوي .

وكان كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي من أوفى المصادر القديمة التي تحدثت عن ابن الأبار، فقد أفرد له ترجمة طويلة في السفر السادس، قلّما تناظرها ترجمة أخرى في كلّ أسفاره. ولم يكتف بذلك بل أشار إليه في معظم أسفاره الباقية واستند إلى ماذكره ابن الأبار من تراجم الرجال وناقشه فيما أودعه في كتابه «تكملة الصلة».

ومايسترعي النظر أن ابن عبد الملك المرّاكشي لم يترك شيخاً من شيوخ ابن الأبار إلا ذكره في الترجمة وصنع مثل ذلك في ذكر مَنْ أجازوه ولقيهم ومن أجازوه ولم يلقهم ومن تدبّج بهم وتدبّجوا به ومن كان من تلاميذه أو ممن رووا عنه.

وأودع لهذه الترجمة أسماء كتب ابن الأبار التي ألّفها مبيّناً موضوعاتها ومعلّقاً على بعضها ببضع كلمات ووصل ما ذكره له ستة وثلاثين مصنّفاً. كما أودعها سينيّته المشهورة والقصائد التي جاوبتها، وبعض رسائله. وتلا هذا الكتاب كتب كثيرة فيها ترجمة الشاعر بيد أنها موجزة مقتصرة على منتقيات من أشعاره ومن ذلك المغرب في حلى المغرب واختصار القدح المعلّى وكلا الكتابين لابن سعيد الأندلسي، وعنوان الدراية للغبريني. ورجعت أيضاً إلى كتاب المقّري التلمساني، أزهار الرياض ونفح الطيب وقدمت الأزهار استناداً إلى إشارة المقرّي إليه حيث خصّه بترجمة واسعة وأكثر من ذكر أخباره التي استمدّها من ابن خلدون وسواه من المؤرخين. وترجمة المقرّي لها شأن كبير في التعرف إلى أخبار ابن الأبار. ولعل من الأشياء المهمة التي فيها إيداعه عدداً من رسائل الشاعر التي لم نصادفها عند غيره ممن ذكروا أخباره. أضف إلى ذلك تقييده القصيدة السينية وغيرها من الأشعار المتخيرة بهذه الترجمة. وهذا ما أعلى من شأن الأزهار لدي وجعل عنايتي به تزداد لكي أمتّص أخبار ابن الأبار للتثبت منها، على ضوء موضوعات هذه الرسائل ومناسبات تلك الأشعار التي تعطي المزيد من التبيين في معرفة الأخبار التي تتعلق بهذا الشاعر.

١٢

وكانت الترجمة التي جاد بها ابن خلدون - على قِصَرها - ذات منزلة مهمّة عندي لما وجدته عند ابن خلدون من إنصاف ودقّة في سرد الخبر ولما يتمتع به من فكر نيّر وعقل مدبّر صيّرني آنس بما قرأته عنده وجرّأني على ردّ بعض الأحكام أو قبول ما سواها استناداً إلى ما يشف تحت ترجمته من آرائه التي لم يصرّح عنها تماماً. وقد ضممت إلى الكتب السابقة أخباراً تناثرت في كتب التراجم والطبقات والرحلات والبرامج، ومعاجم الأمصار والموسوعات، كالروض المعطار، وسيّر أعلام النبلاء، الذي أورد صاحبه ترجمة يسيرة خاصّة بابن الأبار، وأخذ عنه ستّاً وستين ترجمة، واختصر كتابه «تكملة الصلة»، - وفوات الوفيات، والوافي بالوفيات، والإحاطة، ورحلة العبدري ورحلة ابن رشيد، وصبح الأعشى، والإعلان بالتوبيخ، وبرنامج الوادي آشي.

وأما الدراسات المعاصرة الخاصّة بابن الأبار وحده فما يوجد - على حد معرفتي - دراسة متكاملة عنه. وكانت لهذه المعرفة تستند إلى سؤال أساتذة أجلاء في حقل الدراسات الأندلسية وكانت إجاباتهم عن سؤالي تشير إلى عدم وجود دراسة تضمّ حياة ابن الأبار وأدبه. ومن أولئك الأساتذة الكرام الأستاذ الدكتور محمود علي مكي الأستاذ بجامعة القاهرة - الذي قال لا توجد دراسة خاصّة بأدب ابن الأبار، وكل ما في المكتبات كتابان أحدهما خاص بكتاب «الحلة السيراء» وبدراسته للدكتور عبد الله أنيس الطباع، وكتاب آخر قبله للدكتور عبد العزيز عبد المجيد وهو خاص بكتب ابن الأبار. وأضاف قائلاً إنّ هذين الكتابين ألّفتا في الخمسينات من هذا القرن وما ذكر في كثير منهما يحتاج إلى إعادة النظر فيه - والأستاذان الدكتوران محمد حجي ومحمد بن شريفه اللذان ذكرا مثل قول صنوهما الدكتور محمود مكي، وأشار إلى مثل ذلك الدكتور عبد القادر هني من جامعة الجزائر والأستاذ عبد الجليل ناظم من جامعة محمد الخامس بالرباط.

وتبقى بحوث مؤثرة ومقالات تناولت ابن الأبار وشعره، ذكرتها في تضاعيف هذا البحث، وأشرت إليها في فهرس المصادر والمراجع في آخر هذه الرسالة.